Journal of Libyan Academy Bani Walid 2025
مجلة الأكاديمية الليبية بني وليد
e-ISSN: 3104-3860
Volume 1, Issue 3 (Part 2), 2025, Pages: 279-293

مرتكزات التوتاليتاريا في فلسفة حنة آرندث السياسية

أسماء ضو المزوغي[1*]، أميرة عبدالسلام الشيباني[2]
[2،1] قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بنغازي، بنغازي، ليبيا .
*البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي):asma.dow@uob.euidu.ly

Manuscript Title: The foundations of totalitarianism in Hannah Arendth's political philosophy

Asma Dow Almozogei [1*], Amyra Abdalsalam Alshaybani [2]
[1,2] Department philosophy, Faculty Arts, Benghazi University, Benghazi, Libya.

Received: 18-07-2025; Accepted: 10-09-2025; Published: 07-10-2025

الملخص

تروم هذه الدراسة الاطلاع على فكر الفيلسوفة المُنظرة السياسية الألمانية حنة آرندث Hannah Arendt (1906 م– 1975) وفهم معالجتها لمرتكزات التوتاليتاريا ؛ ذلك لأن فحوى تفكيرها السياسي انطلق من كرونولوجيا التاريخ السياسي المعاصر، إذ تتكلم عن واقع التفكير السياسي المعاصر انطلاقاً مما خلفته الأنظمة الشمولية " التوتاليتارية "،على الرغم من وجود العديد من الدراسات التي تناولت النظام التوتاليتاري بالبحث والدراسة ،غير أن أبحاثها كانت حقلاً خصباً انطلقت منه دراسات كثيرة عند هيرمان روشينق وإيريك فوجلان ، ريمون آرون ، وكلود روسو ، كلود لوفور ، كلود بولان ، فقد اعتبر هؤلاء جميعاً أن فهم ظاهرة التوتاليتاريا يّعد منطلقاً مهماً واساسياً لفهم الاحداث ،حيث لم يُكتب لفكرة التوتاليتاريا أن ذاعت وانتشرت إلا بعد نشر أهم مؤلفات آرندث الموسوم بـــــــ " أسس التوتاليتاريا " الصادر عام 1951م ، المنجز الاهم الذي دفعها لتحتل مكانتها في مصاف النخبة الفكرية في النصف الثاني من القرن العشرين ، وتكمن قيمة هذا المؤلف الاساسية في تحليل مختلف مظاهر التوتاليتاريا وأساليبها المختلفة والمتمثلة في القمع والعمل على طمس هوية الإنسان ، والاقليات والهجرة والنظام الجمهوري والشعوبية ، حيث اقترحت آرندث حلولاً سياسية عاجلة لكبح الاستغلال السياسي للشعوب من طرف الانظمة المستبدة ، وذلك عبر نبذ الازدواجية السياسية وتفعيل الديمقراطية السياسية المبنية على قاعدة شعبية لمواجهة الاستبداد العام .

الكلمات المفتاحية: حنة آرندث ، التوتاليتاريا ، الحركة ، الحشود ، الإمبريالية ، الايديولوجيات .

Abstract

This study aims to examine the thought of the German philosopher and political theorist Hannah Arendt (1906–1975) and to understand her treatment of the foundations of totalitarianism. The significance of her political thought lies in its connection to the chronology of contemporary political history. Her writings reflect the reality of modern political thought, shaped by the legacy of totalitarian regimes.

Although many studies have examined the totalitarian system, Arendt's research became a fertile ground from which numerous studies were launched by scholars such as Hermann

Rauschning, Eric Voegelin, Raymond Aron, Claude Lefort, and Claude Polin. They all considered that understanding the phenomenon of totalitarianism represents an important and fundamental turning point in analyzing political events.
The idea of totalitarianism did not gain wide recognition until after the publication of Arendt's most important work, The Origins of Totalitarianism (1951), which established her place among the intellectual elite of the second half of the twentieth century. The fundamental value of this book lies in its comprehensive analysis of the various aspects and mechanisms of totalitarianism, including repression, the obliteration of human identity, the persecution of minorities, immigration crises, republican systems, and populism.
Arendt warned of the political exploitation of peoples by tyrannical regimes and proposed the necessity of rejecting political dualism while activating democratic participation based on a popular foundation to confront general tyranny.

Keywords: Political Parties, Elections, International Influences, and the Libyan Crisis.

المقدمة

تماهت حنّة آرندت[*] **Hannah Arendt** (1906 م– 1975) مع مشروعها تطبيقاً وتمثيلاً ، فكانت تلك الشُعلة النشطة من الفاعلية السياسية ، والناقدة القادرة على استعادة ما نُسي من الإنسان وحرياته ، في مستويات فضح الضياع الذي انتجه العصر الحديث ، ولا سيما نتاجاته المهلكة في السبيل السياسي " من التوتاليتارية وهيمنة البروباغاندا " واقتحام الضروري لمساكن الحرية ، إلى غياب الفعل ، الذي لم يستطيع الفكاك من متاهات الاقفار لمعني الإنسانية [1] (آرندث ، (2016) ، ص9)

كان لابد لها من الوقوف عنده للتعبير عن النظريات السياسية ، والتأسيس لها عن كثب حتي تكون السجالات السياسية واضحة متضحة المعالم والجوانب بالنسبة للأشخاص والأفراد والشعوب وحتى الدول ، كان لابد ان تنصهر في الحياة السياسية الرابطة بين الشعوب والأنظمة الشمولية " التوتاليتارية " والتي طغت بأساليبها البيروقراطية وطبائعها العنفوانية في بداية القرن العشرين ، والتعليق عليها وانتقادها وتبيان التنظير السياسي عليها وتغيير الرؤية السياسية للأنظمة الاستبدادية ؛ من خلال طرح أفكار سياسية بديلة مبينة على قواعد أخلاقية مع احترام اخلاقيات النقاش بين الدول والأنظمة التوتاليتارية . ولأهمية هذا الموضوع في مجال فلسفة السياسة، وضرورة معرفة مرتكزات التوتاليتاريا ، علينا التركيز عليها بالبحث والدراسة الدقيقة، والخروج من هذه الدراسة بتوصيات قد يستفاد منها في المستقبل.

اولاً:اهمية البحث :-

1.تكتسي هذه الدارسة أهمية كبرى تتجلى في التعرف على واحدة من المقاربات الفلسفية السياسية المعاصرة والمتمثلة في تجليات القراءة التفكيكية الذي قدمتها حنة آرندث لنظام التوتاليتاري ، ومحاولة تشخيص الواقع الإنساني السياسي المعاصر ووضع اليد على أسبابه ، عناصره عوامله مقوماته .

(*) حنة آرندث Hannah Arendt (1906 – 1975): ولدت حنّة آرندث 1906م في مدينة ليدن قرون هانوفر، من أب وأم يهوديين أبديا معًا تعاطفًا مع الحزب الاشتراكيّ الألمانيّ . وقد كان التمسك بالهوية اليهودية من الثوابت الفكرية والروحية لأسرتها وعائلتها ؛ إذ عكفت آرندث على الاهتمام بالسياسة بمختلف مشاربها وقطاعاتها، وقد تزامن ذلك مع رفضها كناية الفيلسوفة متمسكة بأنها تشتغل في حقل العلوم السياسية وتاريخ الأفكار وليس في مجال الفلسفة ، أهم مؤلفاتها. (في الثورة وفي العنف والوضع البشريّ وأسس التوتاليتارية والسياسية، بين الماضي والمستقبل و رسائل حنة آرندث ومارتن هيدجرد) . لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى:

- مجموعة من الأكاديميين العرب(1434هـ/ 2013م). ، ص 664.
- Gardner,.C, V,.(2009), p. 18.
- Clet Martin,. J, (1997), p. 37, 40.

(1) آرندث. (2014) . ص9.

2.التأسيس لتصور فلسفي سياسي عن آراء حنة آرندث والتي تماهت في الحياة السياسية الرصينة استشكالاً وتحليلاً .
3. تسليط الضوء على النظام الشمولي " التوتاليتاري "حيث يتوقع أن تفيد هذه الدراسة في فتح المجال أمام دراسات مستقبلية تهتم بدراسة التوتاليتاريا.

ثانياً: أهداف الدراسة :
1.بيان حقيقة النظام التوتاليتاري مفهوماً وممارسة .
2.كشف النقاب عن خصوصيات لنظام التوتاليتاري .
3.كشف النقاب عن المقومات الأساسية التي أدت إلى انبثاق النظام التوتاليتاري .
4.الوقوف على العوامل الأساسية التي أدت إلى ظهور النظام التوتاليتاري.
5. التعرف على أهم ملامح وأجهزة التوتاليتاريا .

ثالثاً: منهجية البحث : - تبنت هذه الدراسة لمعالجة موضوع البحث المنهج التاريخي والمنهج التحليلي النقدي المقارن لأنها من المناهج الملائمة للتعامل مع مثل هذه المشكلات .
رابعاً: إشكالية البحث وتساؤلاته: تتناول هذه الورقة العلمية قضية مهمة وجوهرية في مجال فلسفة السياسة تتمثل في استعراض الطرح الذي قدمت له الفيلسوفة و المؤرخة المفكرة السياسية حول مرتكزات التوتاليتاريا وهذه الدراسة تقوم بطرح السؤال التالي :
-إلى أي مدى ساهمت حنة آرندث في ابراز مرتكزات التوتاليتاريا وإيضاح تداعياتها على حياة الأمم ؟
والاجابة على هذه السؤال وبناء على ما تقدم قسمت هذه الدراسة إلىّ فصلين هما :
الفصل الأول : مفهوم النظام التوتاليتاري- خصوصيات – مقوماته :
1.في حقيقة النظام التوتاليتاري مفهوماً وممارسة
2. خصوصيات النظام التوتاليتاري.
3. المقومات الأساسية لظاهرة التوتاليتارية .
الفصل الثاني :ملامح النظام التوتاليتاريا (عوامله – عناصره):
1.العوامل الأساسية التي أدت إلى انبثاق ظاهرة التوتاليتاريا .
2. العناصر الأساسية التي أدت إلى ظهور النظام التوتاليتاريا.
الفصل الأول : مفهوم النظام التوتاليتاري- اختصاصاته – مقوماته
1: في حقيقة النظام التوتاليتاري مفهوماً وممارسة :
عرف مفهوم التوتاليتاريا اهتماماً بالغاً من قِبل المفكرين والباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية والفلسفية السياسية بالدرجة الأولى، إذ أصبح هذا الأخير مجال اشتغال النخبة المفكرة ، رغم الاستعمالات السياسية الكثيفة للكلمة سواء عند اندريه جيد André Gide(**1869م -2951م)** و كارل شميت Carl Schmitt **(1888–1985)** المُنظر السياسي للنازية ظل المفهوم بحاجة لسندات نظرية فلسفية لم تتحقق إلا في سنوات الخمسينات ، وأن الدارسين لهذه المسألة سينقسمون إلى اتجاهين :
الأول وتمثله آرندث وكلود لفور Claude Lefort (1924-2010)وريمون آرون Raymond Aron. (1905م -1983م)،و كارل بوبر Karl Popper(1902-1994) ويعتمد هؤلاء الطريقة المعيارية والنظرية الهادفة إلى الكشف عن الأسس النظرية للممارسات التوتاليتارية . أما الاتجاه الثاني فيعتمد التمشي الفينمنولوجي ويمثله كلا من فريدريش(1955) Fridrich وجون كانستكي-1826) John Chomsky(1900 . حيث كتب ليون بولياكوف Léon Poliakov (1910-1997) قائلاً :« التوتاليتارية ظاهرة تاريخية تعوزها الدقة المفهومية ».فالبعض مثل ريمون أرون Raymond Aron

(1905-1983)تناولها بطريقة وصفية ، وأما حنة آرندث فلا ترى في التوتاليتارية سوى مفهوم مشوش[2](نصار، (1992) ، ص45)

أما على المستوى السوسيولوجي ، فيمكن الحديث عن النظريات التوتاليتارية أو الشمولية والتي تنظر إلى الظواهر الاجتماعية من خلال انساق وبنيات كبرى حيث الدور محدود للفرد مثل النظريات الماركسية البنيوية والوظيفية الكلاسيكية، لقد تعددت المحاولات لتعريف التوتاليتارية ،لكونها مفهوماً جديداً تمظهر في القرن العشرين ، يُنظر إليه ،على أنه مفهوم مخالف للأنظمة المستبدة المعروفة ،كحكومة الطغيان ، أو الديكتاتورية ، ليس بسبب درجة التعسف في التوتاليتارية ، ولكن بسبب طبيعتها الخاصة وهو ما ركزت عليه حنة آرنذث .

أنّ التوتاليتارية Totalitarism لفظ مشتق من الفعل اللاتيني ، Totalita أي ، أي الكل أو الامتلاء ، وهي نظام المجتمع المغلق وشكل من أشكال الحكم الشمولي السياسي للطغيان ، Terranie بحيث ينعدم على مستواه القانون والنظام ، وتكون السلطة في يدّ رجل واحد ، ، يستخدم للإشارة إلى أشكال معاصرة من الطغيان (نظام الحكم المغلق) والإبادة الجماعية أو المعاناة الإنسانية على نطاق واسع ، أن مفهوم التوتاليتارية واضح ولا يشوبه غموض [3](زيادة ، (1988) ، ص400)

كان أول من أرسى دعائم مصطلح التوتاليتاريا في ميدان العلاقات السياسية هو بينيتو موسوليني Benito Mussolini، (1883-1945) في ربيع 1923م في إيطاليا ، في خطاب القاه ضمن حملة مركزة كان يشنها على معارضيه ، حيث وصف الإرادة الفاشية بأنها عنيفة ومصممة وبأنها إرادة كلية – على الرغم بأن أول من دشن مصطلح التوتاليتاريا هو الفيلسوف السياسي الإيطالي جيوفاني جنتيلي Geovanni Gentille (1875 - 1944) ، والذي انطلق من الفكرة القائلة: « بأنه لا حدود ولا أماكن لا يحق للدولة التدخل فيها ، وأن التوتاليتارية هي تجسيد للروح الأخلاقي للشعب .. »[4] (المحمودي (2003).ص252.ص253.) وفي خطاب آخر ألقاه فيّ 28 تشرين الأول من العام نفسه قال فيّ سياق شرحه للمفهوم الفاشي للدولة يقول: «... إن كل شيء في الدولة ، لا شيء خارج الدولة ، ولا شيء ضد الدولة ».[5] (زيادة ، (1988) ، ص400.) ، وبعد الحرب أعيد سبكه على أيدي طائفة من المفكرين الأوروبيين اليساريين والليبراليين المناوئين للنموذج الشمولي ، من أبرزهم حنة آرندث ، وكارل فردريش ، فرانتز نويمان ، وليونارد شابيرو ، حيث كان اللفظ في نظرهمّ ، مرادفاً للشر والديكتاتورية المدمرة ، أوحكم الفرد ويلخص هذا الوصف تلخيصاً صحيحاً مفهوم الدولة الكلية أو الشمولية التوتاليتارية. [6] (عبدالجبار ، (2008) ، ص8.)

يعد كتاب حنة آرندث «أسس التوتاليتارية » سابق الذكر وثيقة تحليلية للفكر الاوروبي المعاصر يتميز هذا المؤلف بالحياد والفطنة عن المؤثرات الوجدانية والإيديولوجية حيث اعتمدت فيه آرندث على التأمل الطويل في الوثائق التي سربها لها المعارضون الشيوعيون في روسيا ، حيث استطاعت من خلاله ، الوصول إلى العوامل والبنيات السياسية والاقتصادية والأزمات التي عصفت بتلك المجتمعات ، وأدت إلى ميلاد وظهور النازية الألمانية و الستالينية السوفياتية ، من هنا أبرزت العوامل والكيفيات والبنيات التي تحكمت في ميلاد ظاهرة التوتاليتارية وتطورها كمنتوج خاص بالقرن العشرين ، تميزت الفترة التي استغرقت فيها آرندث في كتابة مؤلفها هذا حوالي خمس سنوات ، أي أربع بعد سقوط النازية في ألمانيا ، وأربع سنوات قبل وفاة ستالين بالاتحاد السوفياتي ، هي أول فترة اتسمت بالهدوء النسبي ، بعد حقبة طويلة مليئة بالصخب والتوتر والخوف ، وأن جيلها لم تتيح له فرصة التفكير بهدوء في مسار الأحداث المروعة التي طبعت مسار حياة أوروبا في تلك الفترة . نسقياً بأفكار وتصورات المفكرة الألمانية حنة آرندث من

([2]) نصار ، (1992)، ص45.
([3]) المحمودي ، (2003) 252ص . 253ص .
([4]) زيادة، (1988) ،ص400.
([5]) زيادة، (1988) ، ص400.
([6])عبدالجبار، (2008) ، ص 8.

خلال دراستها للأنظمة الفاشية والنازية والستالينية ، وهو ما ساعدها على بلورة تصور نظري متماسك الفهم جديد الظاهرة على المستوي السياسي . التوتاليتارية ليست رديفاً لأنظمة الحكم الكلاسيكية كما عدها أفلاطون فلاطون Plato،(428– 347 ق م) في الجمهورية أو أَرِسْطُو Aristotel (سطاغيرا 384 ق.م – أوبيا 332 ق.م):في السياسة مونتسكيو Montesquieu) (1689 – 1755) في روح القوانين [7] (زيادة ، (1988) ، ص401)

على وجه الخصوص في ظل الظروف المشحونة فأن القارئ لمتن آرندث الفلسفي السياسي حول التوتاليتاريا يلاحظ بأنه كان عمل استبعادياً و إستراجاعياً للأحداث ، لكن ليس بعين المتأمل الترندتستندنتالي ، وإنما بعين مؤرخة و منظرة سياسية محايدة وباحثة عن الآلام ومراجعة الحقيقة ، رغم أنها صرحت في كتابها " **التفكير الحر** " بان هناك مشكلة حول عنوانه وانها اتفقت مع ناشري الكتاب في نسخته الموسعة والمنقحة ، وانها تري بأن الإصرار على كلمة " أسس " كما ترجمت كأنه يتجاهل الجزء الاخير والاكبر من الكتاب . حيث تقول بهذا الصدد« ...فهدا الجزء مكرس حصراً لآليات الحركات والحكومات الشمولية ، بينما يقارب الجزآن الآخران حول " المعاداة السامية " و" الإمبريالية " تلك التيارات الخفية في التاريخ الحديث التي تكمن فيها أصول هذه الآليات » . [8] (آرندث ، (2022) ، ص187.)

تأسيساً على ما سبق فأن ما ترومه آرندث لن يضع البُحاث في مفترق طرق؛ ذلك لأنها مارست نقداً منهجياً حول ـأسس التوتاليتاريا ،فحتي لو شكل النظام التوتاليتاري قطيعة مع كل الأنظمة الاستبدادية السابقة ، فأنها ابدعت في حبك خيوطها ، والعارف المتمرس بأسلوبها في تحليل القضايا يدرك دونما عناء ، ان ما شكل قلق آرندث ليس هو فشل العنوان في تغطية الكتاب كله ، لأنها تثق في قدرة القارئ على تصحيح هذا الخطأ . لكن ما يزعجها هو أن العنوان " أسس التوتاليتاريا " ينطوي ، ولو بشكل باهت على إيمان بالسببية التاريخية التي لم تكن تتحلى بها آرندث كا كاتبة اثناء تأليفها للكتاب ، وأن السنوات السبع التي مرت على نشر الكتاب لم تعد تسمح بالبحث عن عناوين جديدة ، حيث تقول بهذا الصدد : «...أثناء كتابتي للكتاب ، جاءتني هذه المقاصد على هيئة صور متكررة باستمرار: شعرت كأنني أتعاطى مع بنية متبلورة على أن أكسرها إلى عناصرها المكونة قبل أن اتمكن من تحطيمها .أزعجتني هذه الصورة إلى حد كبير ، إذا اعتقدت أن مهمة كتابة التاريخ مستحيلة حين لا يكون الهدف منها إنقاذ الأحداث وحفظها وتحويلها إلى مادة للذاكرة ، بل تحطيمها. وأخيراً تبينّ لي أنني لا أكتب كتاباً تاريخياً ، مع أن أجزاء كبيرة منه تنطوي على تحليلات تاريخية ، بل كتاباً سياسياً لا تظهر فيه الاحداث التاريخية من وجهة نظر الحاضر فقط ، بل يرتبط ظهورها بالضوء الذي يلقيه عليها الحدث المتمثل في بنشوء الشمولية ... » [9] (آرندث ، (2022) ، ص187.)

هذا ما يجعلنا نعيش نوعاً من الفسحة الفلسفية السياسية وذلك لمدى حضور الهم السياسي الآرنثي في الفكر الفلسفي استشكالاً وتحليلاً ، وأن هذا الفيلسوفة أعطت عناية فائقة للبُعد السياسي للفعل الإنساني ؛ ذلك لأن من أبرز أهداف النظام التوتاليتاري هو القضاء على الفعل الإنساني ، وعلى كل ظاهرة عفوية بشرية عامة ، لهذا نظرت آرندث في شروط وجوده السياسي ، قبل كل شيء فكانت هذه الرؤية بمثابة مقاربة للإنسان ، لا من باب وجوده وماهيته ، بل من باب فعله وانفعالاته وفاعليته في الوجود ، وهذا ما جعلها تتجه نحو قراءة الفكر السياسي بكل محتوياته ومستجداته بصفة عامة وتصورها للأزمة التي تنخر في الجسم السياسي بصفة خاصة ، متجه نحو تغيير جذري لمفاهيم الإنسان السياسية ، السلطة ، والسيادة ، وخلخلة أسس القراءة الأنطولوجية للتاريخ و التوتاليتاريا ، وارساء دعائم رؤية جديدة له ،قوامها النظر إليه باعتبار عصارة الفعل الإنساني الذي هو فعل سياسي في مقوماته ولُب جوهره.

([7]) زيادة ، (1988) ، ص 401.
([8])آرندث .(2022) ص 187.
([9])آرندث .(2022) ص 187.

(أبوشهيوة ، (2022) ، ص404.).ثانياً: خصوصيات التوتاليتاريا: [10]

تتأتي خصوصية التوتاليتاريا في تهديم وسائط المجال العام ، وما يخلص به من الرأي العام وتجسيد لإرادة السلطة ، وخلق مناخ متدهور يجعل الناس راغبة في دفع الثمن على شكل تأييد لقيام الدولة البوليسية ، والقضاء على فاعلية المجتمع وتحويله إلى انصياع تام لتلك الهيمنة الكليانية من خلال عدة تحولات أهمها:

1.تحول الدولة من دولة القانون إلي الدولة البوليسية .
2. تحول الدولة من دولة حرية إلي نظام استبدادي .
3.سيطرة حزب سياسي واحد على العملية السياسية .
4.منع أي تنوع من التعددية .
5.استخدام الإرهاب كآلية أساسية للحكم .

فتتحول الدولة إلى دولة بوليسية ، عندا تلغي الحريات وتستبدلها بالقوة البوليسية ، فتعمل الشمولية على تبريرها باستخدام آلية الايديولوجيا ، من خلال إيجاد قاعدة مادية أي التمركز فوق مؤسسات الدولة ، وكنتيجة لذلك تنتهي التعددية فكرياً وتنظيمياً ، وتتمركز السلطات في يد من يملك القوة المكرسة بالمؤسسة بوليسية، والحزب الواحد الذي يعمل كآلية لفرض قرارات السلطة السياسية ، وإخضاع المجتمع واحتواء مطالب بتكويناته المختلفة من خلال تعبئة أفراد الشعب ومشاركتهم في الهمل على تحقيق الأهداف التي رسمتها السلطة السياسية الأمر الذي يعطي انطباعا خاطئاً بوجود الديموقراطية .

ثالثاً: المقومات الأساسية لظاهرة التوتاليتارية : [11] (زيادة ، (1988) ، ص403.)

آشار كارل فريدريش: Carl Friedrich (1777- 1855) و ريمون آرون Raymond Aron (1905-1983) إلى خمس صفات أساسية تميز النظام التوتاليتاري هي :

1-إن النمط التوتاليتاري في الحكم يعتمد الحزب الواحد بزعامة قائد واحد سلطته مطلقة ويحيط بهذا القائد نخبة من الأعوان تأتمر بإمرته وتوليه ولاء مطلقاً.

2. أن يكون للحزب ايديولوجية رسمية وهدف وغالباً ما يحدد بوضوح كالتصنيع أو السيادة العرقية ، ويتوسل الحزب التكنولوجيا لاستحداث أساليب الدعاية والاقناع والإكراه حتى يلتزم الجميع بإيديولوجيا الحزب ويمارسوها ، وتستقطب كل الطاقات من أجل تحقيق الأهداف التي حددها القائد ، ويظل المجتمع في حالة تعبئة شاملة مستمرة .

3.يسيطر الحكم التوتاليتاري على الاقتصاد ويوجهه ويسيطر كذلك على القوى المسلحة وعلى وسائل الاتصال العامة ، وتحاول ضبط المجتمع بكامله حسب غايات الحرب .

4. يمتلك النمط التوتاليتاري تفسيراً لماضي معين ومبسط ولديه رؤية للمستقبل واضحة ، لتعيد صياغة الإنسان والعالم بأكمله على نمطها ومثلها ، من أجل تحقيق كل هذا لا تتردد السلطة التوتاليتارية في استعمال العنف والإرهاب .

5.يكون نظام حكمها دستورياً على الاجمال تلجا فق إلى التعبئة والاستقطاب وربما القمع والحد من الحريات لمواجهة الأمات والمخاطر الطارئة .

الفصل الثاني :ملامح النظام التوتاليتاريا(عوامله – عناصره)

اولاً: العوامل الأساسية التي أدت إلى انبثاق ظاهرة التوتاليتارية :

1.المعادة للسامية :

لا نماري في القول بأن المعادة للسامية من أهم العوامل التي أفرزت ظاهرة التوتاليتارية ،فآرندث لم تحب أي شعب من شعوب العالم باستثناء الأفراد ، بل كانت تُحمل الأفراد المسؤولية الحصرية عن أكثر الجرائم السياسية فظاعة ، و الممثلة في شخصيتي أدلف هتلر Adolf Hitler (1889–1945)

[10](أبوشهيوة ، (1425).ص404 .
[11](زيادة ، (1988) ، ص403 .

وجوزيف ستالين Dacha Stalin's(1878-1953)، اللذان ارتكبا جرائم ضد الإنسانية،[12] (آرندث ، (2022) ، ص16.) لهذا عندما صنفت آرندث الثورات التي حدثت في العالم إلى نوعين هما : ثورات تقوم "بتجديد البداية القديمة " أي تجديد العصور المتعاقبة ، ثورات تمثل بداية جديدة ، كما يصفها فيرجيل بتأسيس إيتاس لروما ، أي تجديد طروادة المنهوبة والمدمرة ، كانت تريد منا استشعار تخليق بداية جديدة .في الفترة التي تم فيها معادة السامية ؛ ذلك لأنها مشكلة سياسية خاصة بالعصر الحديث ، لم تعرف من قبل . ولم يتم التعرض لها ، على المستوى الأخلاقي أو الديني أو الفكري ، ولم تظهر تحت هذا الاسم إلا بعد سنة 1870م ، وهي فكرة ضمنية تقر بعدم وجود تاريخ يهودي ،وانهم عاشوا مشتتين في أنحاء أوروبا ، من بحر المانش حتي الفولغا، والذين ليس لديهم من صفة مشتركة سوى إن لديهم أجداد أوفياء للديانة اليهودية حيث تقول في كتابها ما لسياسة : «.... أن إبادة شعب كامل والعمل على محوه من الخارطة الحضارية كلها ، عادت للظهور دفعة واحدة كتهديد داخل ميدان الممكن – الممكن جداً . ومثل هذا الاحتمال ، بالرغم من أنه يمثل جواباً لتهديد شمولي ، أصبح واقعاً لا علاقة له بالدافع الذي يستمد منه أصله ... » [13] (آرندث ، (1435 و.ر 2014)، ص84.) وتستطرد آرندث قولها في كتابها معاداة السامية : « ..كراهية اليهودي ... مستلهمة من العداوة المتبادلة لعقيدتين متناقضتين ...فكرة التداول المستمر للاضطهاد ، وعمليات النفي والمجازر منذ نهاية الإمبراطورية الرومانية ، وطيلة العصور الوسطى ، والفترات الحديثة وحتى الفترة الحالية المناسبة أحياناً...أن المعادة للسامية المعاصرة ليست سوى نسخة علمانية للخرافات الشعبية للقرون الوسطى ،ليست أقل تضليلاً ، وأقل خبثاً ، بالطبع ، من الفكرة المعادية للسامية التي تناقضها ، وهي فكرة جمعية سرية يهودية حكمت أو تصبوا إلى حكم العالم منذ العصور القديمة » . [14](آرندث ، (2020) ،ص16.)

ب. وللمعادة للسامية بُعد سياسي، وبعد اجتماعي: [15] (آرندث ، (2016) ، ص234.)

1. البُعد السياسي لمعادة السامية: حسبما رأت آرندث فإن اليهود عاشوا في القديم وحتي القرن السادس عشر متفرقين و منعزلين ، بسبب اعتقادهم ، بأنهم متميزين ، ومختلفين عن الآخرين عرقياً وليس فقط دينيا ، فكانت النتيجة أن انتقلت هذه النظرة إلى غير اليهود في عصر الانوار . ومع استمرار رغبة اليهود في الحفاظ على تميزهم ، من أجل الإبقاء على الهوية اليهودية ، ورفضهم للاندماج في المجتمعات التي وجدوا فيها ، تنامت تلك المجتمعات مشاعر معادة السامية ، بل تضاعفت .

ومما هو جدير بالذكر أنه كان لليهود دوراً سياسياً واقتصادياً مهما في إطار دولة الأمة باعتبارهم العنصر العالمي المحايد ، والضروري للفصل في الدولة المتنازعة ، بالإضافة إلى كونهم ممولي البضائع في وقت الحرب ، لكنهم ضيعوا هذه الامتيازات بسبب ظهور ما يسمي الدولة الحديثة ، وتوسع النشاط الاقتصادي ، الأمر الذي أدى إلى الاستغناء عنهم ، في إدارة .

الشؤون السياسية ، فعندما وصل هتلر إلى السلطة خسر اليهود وظائفهم العمومية وتأثيرها ولم يحتفظوا إلا بثروتهم ، بل وخسروا تقريباً جميع المناصب الرئيسية التي حصلوا عليها خلال أكثر من مائة سنة في البنوك الألمانية .وانخفض عدد الطائفة اليهودية الألمانية في مجملها ، بعد تطور طويل وقار عددياً وأهمية اجتماعية ، بسرعة فائقة إلى درجة أن خبراء الإحصاء تنبؤوا اختفاءها في بعض العقود . ولا تشير الإحصائيات ، في الحقيقة ، دائماً إلى المسارات التاريخية الحقيقية. [16](آرندث ، (2020) ، ص27.ص29.)

2. البُعد الاجتماعي **لمعادة السامية** : نشأ بعدما شاعت مبادئ الثورة الفرنسية في أوروبا وخضع اليهود مع بقية شرائح المجتمع لمبدا المساواة . ولكن هذا المبدأ لم يشفع لهم في شيء ، فاليهودي ، وبخاصة

---

[12]آرندث ، (2022) ، ص16.
[13]آرندث ،(1435 و.ر 2014) ،ص84.
[14]آ رندث ، (2020)، ص5
[15]آرندث، (2016) ، ص38
[16] آرندث ، (2020) ، ص27 . ص29 .

المثقف والمتعلم منهم ، لا يقبل في المجتمع الذي هو فيه ، إلا على أساس أن يثبت أنه يهودي كبقية اليهود ، وهذا ما يفسر أفكار آرنذث السلبية وكمية البؤس والآلم التي مرت بهما من جراء شعوره بحالة الانقراض الشامل والتي مر بها شعبها ، فبعد أن شرع اليهود في الاندماج وبدأت القيم الدينية والروحية القديمة لليهودية تتعفن وتضمحلّ ، وأن قسماً كبيراً من الشعب اليهودي وجد نفسه في نفس الوقت مهدّد ، من الخارج بالانقراض الجسدي ، وبالتشرذم الداخلي الداخلي .

3.مراحل التخطيط للصعود الطائفة اليهودية لأوروبا : [17](آرندث ، (2020) ، ص44.ص59 .)

أ /تطورّت الدّول –الأمّة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ببطء تحت وصاية ممالك مطلقة . ففي كلّ مكان ، خرج اليهود من ظلماتهم وارتقوا إلى مواقع ممتازة أحيانا ، ومؤثرة على الدّوام ، فهم يهود البلاط ، الممولون لمعاملات الدّولة والعاملون كرجال أعمال للأمراء.

ب / ظهور الدّول –الأمةّ بعد الثورة الفرنسية ، التي قلبت الوضع السياسي في كلّ القارة الأوروبية لاحظنا ، ...فبالنسبة إلى معاملاتها الاقتصادية ، كانت في حاجة إلى حجم من رؤوس الأموال وقروض مرتفعة ، ستوجب اللجوء إلى الطبقات الثرية جداّ من سكان يهود أوروبا الغربية والوسطى ، الذين أودعوا رؤوس أموالهم ، لهذه الغاية ، لدى بعض كبار أصحاب البنوك اليهودية .فوقع عندئذ تمديد الامتيازات التي لم يكن من الضروري منحها إلى الحدّ سوى ليهود البلاط لوحدهم وإلى طبقة عريضة من اليهود الأثرياء ، الذين استقروا في أهمّ المراكز الحضرية والمالية خلال القرن الثامن عشر . .

ج / ارتكزت العلاقة الحميمة بين اليهود والحكومة الوطنية لامبالاة البرجوازية للسياسة عموماً وعلى الموارد المالية للدّولة – الأمة وأقامت في جوقة الأمم الأوروبية عقلية المنافسة في العمليات الكبرى ، مما اضطرّ اليهود إلى التخلّي عن احتكار المعاملات التجارية للدوّلة لفائدة رجال أعمال اتجهوا نحو التوسع الإمبريالي ؛ فخسروا تأثيرهم ككتلة ، حتى وإن فردياً، عرف بعض اليهود الحفاظ على تأثيرهم كمستشارين في الشؤون المالية ووسطاء على المستوى الأوروبي.

د /تفككّت الطائفة اليهوديّة الغربية في نفس الوقت مع الدوّلة –الأمة في العشر سنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى . ووجد الانهيار السريع الذي شمل أوروبا لما بعد الحرب اليهود محرومين بعد من سلطاتهم القديمة ، أصبح اليهودي الأوروبي العالمي موضوع كراهية كونيّة بسبب ثروته التافهة ، وموضوع ازدراء لأنه لم تعد لديه أي سلطة .

هـ / كان اليهود برجوازيين بالمعنى العادي ، ربما حاولوا لعب دور قوّة خفيّة عالمية ، قادرة على صنع الحكومات والإطاحة بها – وهو الدور الذي وصفهم به ، لامحالة ، المعادون للسامية . ولكن ما من شيء كان بعيد جداً عن الحقيقة .فقد اكتفى اليهود ، الذين ليست لهم تجربة في السلطة ، ولم يهتموّا بها .

...و .كان اليهود آخر من يعلم بأن الظروف جعلتهم في قلب الصّراع لذلك لم يعرفوا أبداً كيف يتفهمون المعنى الحقيقي للمعاداة للسامية ، أو تحديدا-لم يشعروا باللحظة التي صارت فيه العنصرية الاجتماعية مسألة سياسية .

2 . الامبريالية :

الامبريالية ظاهرة اقتصادية سياسية عسكرية تتجسد في إقدام الدول القومية في العصر الحديث –أي الرأسمالية الصناعية –على التوسع وفرض سيطرتها على شعوب وأرض أجنبية بدون رضى تلك الشعوب ،و بهدف استغلالها وإخضاعها ونهب ثروتها ، [18] (الكيالي، (2006م) ، ص200.).وهي تمثل المرحلة الأعلى الاحتكارية والأخيرة في الرأسمالية[19] (روزنتال : وآخرون(1987م ، ص49.)، ويعتمد تحليل آرندث للإمبريالية بداية من انطلاق حركة الاستعمار الأوروبي سنة (1884م) ، والتطور التاريخي

([17])آرندث ، (2020) ، ص44.ص59 .

([18])الكيالي ، (2006) ص200

([19])روزنتال ، (1987) ، 49ص .

البريطاني وعلاقاته مع إفريقيا الجنوبية والهند أكثر من غيره ، التي انطلقت في أواخر القرن التاسع عشر ، وانتهت سنة (1914م) ، أي بتخلي الإنجليز عن حكم الهند، نتيجة تراكم رؤوس الأموال ، والتحرر السياسي للبرجوازية من قيود الدولة الأمة ، التي تجد استثمار لأموا لها خارج حدود الدولة هذا من جهة . وعلى الأفكار التي طورّها الالمان والنمساويون : روزلوكسمبرغ ، رودلف هيلفردينغ ، وكارل كاو تسكي . [20] (عبدالجبار ، (2008م) ، ص21.

غير أن الإمبريالية وفقْ رأي "لينين" هي الرأسمالية في مرحلة الاحتكار، لأن الرأسماليّ الماليّ هو نتيجة اندماج رأسمال بضعة بنوك احتكارية كبرى برأسمال اتحادات الصناعيين الاحتكارية ، إلى سياسة استعمارية تقوم على احتكار حيازة بقاع الأرض المقسمة بأكملها [21] (لينين(1976م) ، ص115 .)بمعني إذ تحل الدول الإمبريالية محل البلاد المتخلفة اقتصاديًا ، وتتعلم عن طريق صراعها مع الدول الإمبريالية، أساليب التمرد والثورة على مستغليها، ويتكون لديها - شيئًا فشيئًا- "الوعي" بوضعها وما تتعرض له من استغلال، في أثناء صراعها مع برجوازياتها المحلية . [22] (أحمد ، (1971م)، ص 230.)

كما يعني المصطلح ، حركات الإلحاق القارية التي كانت تأمل في التوسع داخل قارتها .أي "ألحاق الدول الصغيرة بالكبيرة ، كما كان ذلك جالياً في سياسة ألمانيا النازية وروسيا البلشفية .لذلك يجب أن نفهم الإمبريالية كمرحلة أولى " التحرر السياسي للطبقة البرجوازية " ، اين تغلف المصلحة الخاصة للإمبريالية في شكل مبادئ سياسية . من هنا يمكن تصور كيف ستكون السلطة تابعة للاقتصاد ، خلال هذه المرحلة ، وبروز وسائل القهر والإلزام ، والجيش والبوليس . [23] (آرندث ، (2022م)، ص 171) . .

وما يميز الإمبريالية عند آرندث ، شيئان : الأول هو العنصرية ، التي عوض بها مفهوم الانتماء للأمة الواحدة ، كأساس للبنية الاساسية السياسية ، بمفهوم الانتماء للجنس نفسه . والثاني هو التنظيم البيروقراطي الذي هو الوسيلة المثلى للتحكم من هنا سيكون المختبر الأول لتأسيس النظرية العرقية ، في نظر آرندث ، وانتشار عدوى هذين المبدأين في كل أوروبا ، بعد الحرب العالمية الأولى ، هو الذي سمح للإمبريالية القارية " بتسخير النظرية العنصرية ، من أجل الإطاحة ببنية الدولة أو بالأحرى بالقوانين التي هي جوهر الدولة . [24] ، (آرندث ، (2022) ، ص111 .) وهذا ما شكل في نظر آرندث الارهاصات المباشرة لحركة التوتاليتارية ، عبر ما يسمي بالحركة الجومانوية ، والجامعة السلافية التي أنشأت منظمات تدعى الدفاع عن مصالح الطبقات ، وتجسد ما يسمي " ضرورة تاريخية " عند البلشفيين ، أو ضرورة طبيعية " عند النازيين لكي تتحقق السعادة الإنسانية في نهاية المطاف ، كانت فكرة تحقيق المصلحة من خلال مصلحة المجتمع ، كما جاءت في الثورة الفرنسية ، فكرة متوهمة جوفاء . ومع ذلك ليست خطيرة على الفرد ، إنما تعويض فكرة المواطنة (في إطار دولة –الأمة) بفكرة الانتماء (للجنس أو للطبقة الاجتماعية) هو الذي كان وبالاً على الفئات التي لم تكن تملك وطنا في الأصل ، وكان السبب لإقصائها مما يسمى " الإنسانية ' حيث كشفت هذه الوضعية ، عند آرندث عن إفلاس " مبدأ حقوق الإنسان " الذي لم يضع في اعتباره ، الحالات الخاصة من البشر ، إلى درجة أن يجد الإنسان المحروم من الحقوق السياسية ، نفسه ، محروما من الحقوق الإنسانية ، وهو يعنى عند آرندث ،عن إفلاس مبادئ الحضارة الأوروبية بكاملها ، إذ لم تحافظ على قدسية الإنسان أو مبدأ الإنسانية [25](آرندث ،(2022)، ص383) .

بعبارة أخر لقد برهنت آرندث عن " حق الإنسان في التمتع بالحقوق " بشيء من التفصيل ، و تستشهد في ذلك ، بأن حق الإنسان في التمتع بالحقوق باعتباره حقا أساسيا من حقوق الإنسان " بالحق في عدم الاستبعاد من المجتمع السياسي " . تم تعود فتطرح تساؤل جوهري مفاداه بأن هذا يقودنا إلى لغز. فإذا كان

---

[20] عبدالجبار ، (2008م) ، ص21
[21] آرندث ، (2022) ، ص 111
[22] أحمد ، (1971)، 230 ص.
[23] لينين ، (1976) ، ص 115.
[24] آرندث ، (2022) ، ص 111.
[25] آرندث،(2022) ، 111ص.

من الممكن أن نقول إن حقوق الإنسان لا وجود لها إلا بقدر ما هي نتاج للارتباط السياسي، فما هو الأساس الذي يقوم عليه الحق في التمتع بالحقوق؟ وإذا كان الحرمان من الجنسية يعني انعدام الحقوق، فعلى أي أساس قد يزعم شخص عديم الجنسية الحق في التمتع بالحقوق ، إن تحليل آرندث يستبعد فهم الحق في التمتع بالحقوق باعتباره حقا أخلاقيا ما قبل سياسي لمجموعة من الحقوق القانونية. بل إن الحق في التمتع بالحقوق يمكن فهمه على أفضل نحو باعتباره حقا سياسيا أولياً. وهو يشير إلى افتراض أساسي يستحيل معه ممارسة السياسة، وهو الافتراض الذي يبين انتهاكه سياسة معادية للساسة .

والواقع أن آرندث تحدد الجريمة المُعترف بها حديثاً ضد الإنسانية باعتبارها انتهاكا لهذا الحق على وجه التحديد ، وفي هذا الصدد فأن تحليلها للحيرة التي تحيط بحقوق الإنسان كعادتها تعود إلى الحاضرة اليونانية وعلى نحو خاص إلى أرسطو حيث يفترض التمييز الأرسطي بين الحياة المجردة والحياة السياسية الذي يدعم تحليلها للسياسة في كتابها " الوضع البشري لشرط البشري وهنا تزعم أن كرامة السياسة تعتمد على تكوين فضاء من المظاهر حيث يمكن للأفراد أن يدركوا إنسانيتهم من خلال العمل العام والكلام. وهي تكتب موافقة على وجهة النظر اللاتينية للسياسة باعتبارها صراعية، تنطوي على صراع لتحقيق التميز من خلال المشاركة في منافسة عامة بين المتساوين ، يقدم الإغريق نظرة ثاقبة إلى نمط أساسي من الوجود في العالم حيث يتمكن البشر من التغلب على عبث الوجود البيولوجي المجرد وعدم معنى العقلانية الآلية من خلال الصراع من أجل الاعتراف العام. من خلال هذا الصراع يميز الأفراد أنفسهم في تفردهم ويكشفون عن واقع اجتماعي مشترك. وعلاوة على ذلك ينفذ الأفراد حريتهم من خلال المبادرة بشيء جديد. إن الغرض من المجتمع السياسي هو الحفاظ على مساحة من المظاهر التي يمكن فيها تحقيق الحرية الإنسانية .[26](آرندث،(2022)، ص383.)

ثانيًا .العناصر الأساسية التي أدت إلى انبثاق ظاهرة التوليتارية :

1. عامل الجموع أو الحشود البشرية (الجماهير):

تتأسس أطروحة آرندث عن عنصر " الجماهير " الجموع أو الحشود البشرية في أنها الطبقات الكادحة والتكتلات الجماهيرية التي عليها ومعها الحركات التوتاليتارية ، تريد أن تتحرك من أجل القيام بسلوك بعامة ، وهي أول مرحلة من مراحل سيطرة التوتاليتارية ، لن يتأتى ذلك إلا من خلال تحطيم شبكة الاتصال التي تربط الفرد بالنسيج الاجتماعي السياسي القائم في الدولة ، وتجنيد " الجماهير " عندها تكون الحركات التوتاليتارية ممكنة ، حيثما توجد الجماهير توجد التوتاليتاريا، وترى آرندث أن عبارة "الجماهير " تنطبق على الناس ، الذين عجزوا عن الانخراط في أي من التنظيمات القائمة على الصالح المشترك –أكانت أحزاباً سياسية ، أم مجالس بلدية ، أو تنظيمات مهنية أو نقابة وأكثر تمييزاً لقادتها الممجدين .[27] (آرندث، (2016) ، ص234) .

وفي هذا السياق تتفق آرندث مع غوستاف لوبون فيما يتعلق بماهية الجماهير ففي كتابه الممهور بسيكولوجيا الجماهير حيث يقول بهذا الصدد : «. ... الجماهير عبارة عن تراكم من الأفراد المتجمعين بشكل مؤقت على هامش المؤسسات وضد المؤسسات القائمة .... الجماهير مؤلفة من أشخاص هامشيين وشاذين عن المجتمع ، وهكذا نجد أن الجمهور يتطابق ، بحسب هذه النظرة مع " الرعاع " و" السواقة " و"الاوباش " . إنهم رجال ونساء بدون عمل محدد ومستبعدون من المجتمع الفعلية » .[28](لوبون ، (2016) ص 38.

) نستأنف تحليل آرندث لهذه الفكرة حيث ترى بأن التوتاليتاريا حركة للجماهير ولكي تعطي معني دقيق وخاصة لمفردة "جماهير " غير المعني الذي تبنته الماركسية والاشتراكية الذي يُشير إلي الطبقات الكادحة ، وبهذا الصدد تقول « ... فما أنجزه ستالين خلال سنوات كثيرة وعبر صراعات داخلية متصلبة وامتيازات هائلة ،رغم أنه كان في متناوله جهاز دعاية أعانه في تخليد أسمه ، كان ولايزال مجهولاً في زمن لينين

---

[26]آرندث،(2022) ، 383ص.
[27]آرندث، (2016) ، ص38 .
[28]لوبون ،(2016) ، ص38

،الأمر ذاته ينطبق على هتلر الذي جعل نفسه ، إبان حياته ، موضع افتتان مزعوم لا يقاوم ، حتى إذا هُزم ومات ، أغفل ذكرهُ الناس إغفالاً تاماً ، فبات لا يؤدي أي دور ، حتي في صفوف الفرق الفاشية الجديدة والجماعات النازية الجديدة في ألمانيا ، فالتشكيلات التوتاليتارية لا تلبث في السلطة إلا بمقدار ما تدفع كل ما يحيط بها إلى الحركة، وكأنها تريد ان تقول بأن هتلر و ستالين لم يصلا إلى الحكم والسلطة لو لم يحصلوا على ثقة الجماهير ، والجموع المحرومة من المشاركة السياسية ، المحرومة من هوياتها واتجاهاتها وأهدافها ، والتي اختزلت في هوية واحدة واتجاه واحد وهدف واحد كأنه رجل واحد» .[29] (آرندث، (2016) ، ص88).

كذلك من المسائل المهمة التي توصلت إليها آرندث اثناء تحليلها للحشود أو الجماهير أنها وصلت إلى نتيجة مفادها بأن النظام التوتاليتاري لن يكترث بهذه الفئة كثيراً ، بل سيوجه معظم اهتمامه ، بطبقة النُخبة حيث تقول بهذا الصدد : «....هؤلاء نجحوا في بث رعاياهم جرثومة التوتاليتارية الخاصة ونقلوا إليهم عدواها ، إذا لو صح أنه توجد شخصية توتاليتارية أو عقلية توتاليتارية فأن الأنظمة التوتاليتارية أيا كان أمد سلطانها ، والقادة التوتاليتارين ، طالما بقوا على قيد الحياة ، أنهم يبسطون سلطاتهم مستندين إلى الجماهير حتى النهاية .على ذلك فهتلر يبلغ السلطة بصورة شرعية ووفق قاعدة الأغلبية الحاكمة ، وما كان له و لستالين أن يتمسكا بزمام سلطتهما على شعوب عريضة بأسرها ، وأن يصمدا في وجه أزمات داخلية وخارجية عديدة ، لو لم يكونا حائزين على رضا الجماهير وثقتهم..»[30] (آرندث،(2016) ، ص88)

وأن المتبصر في تحليلات آرندث هذه يجدها تتفق مرة أخرى مع غوستاف لوبون حتي في رأيها حول قادة وزعماء التوتاليتاريا ، إذ انه يرى إنه من الصعوبة بمكان أن يلاحظ المرء الفروق العميقة ما بين التنظيمات الرعاع في القرن التاسع عشر وبين الحركات الجماهيرية في القرن العشرين . والواقع أن القادة التوتاليتاريين العصريين لا يختلفون في شيء البتة ،والذين تشبه معاييرهم الأخلاقية ومسلكهم السياسي معايير ومسلك القادة البورجوازيين إلى حد بعيد ؛ إذ يمكن لجهة ما أن تلغي طبقة ، وأن تغتال عدداً كافياً من أعضائها .فالقائد التوتاليتاري إن هو إلا موظف الجماهير لديه القدرة على أن يقودها ، وهو فرداً ليس متعطشاً للسلطة - وهنا تتفق آرندث كذلك مع أفلاطون كذلك فالقدرة على قيادة البشرية، هي القدرة على الحصول على الخيرات Plato , (1938) p.[31]

وفي هذا الانتقال الفكري ما بين أفلاطون لوبون و آرندث نعود مرة أخري لنختتم مناقشتها فكرة آرندث حول الجماهير حيث تري بأن التعصب سوف يتلاشى ويصبح هملاً ،وان سبب التطرف هو ان المجتمع الجماهيري لا يحطم المجال العمومي فقط بل يحطم المجال الخاص كذلك ، ويحرم البشر لا فقط من مكانهم في العالم بل ويحرمهم من بيتهم الخاص، حيث كانوا يشعرون بالحماية من العالم ،[32] (آرندث، (2015) ، ص80) وأن نجاح الحركات التوتاليتارية في جذب الجماهير إليها دق ناقوس الحزن بسبب وجود وهمين رئيسين هما :

الوهم الأول :فكان يقضي بأن يشارك الشعب غالبيته في الحكم ، وأن يتعاطف أفراده جميعهم مع هذا الحزب أو ذاك . .

الوهم الثاني: يرى إلى هذه الجماهير تشكل لوحة الأساس الصماء في حياة الأمة السياسية لا طائل من أن تعتمد التوتاليتارية ترسيمه النازية أو البولشفية. .

([29])آرندث ، (2016) ، ص38
([30])آرندث ، (2016) ، ص88
([31]) Plato , (1938)p123.
([32])آرندث، (2015) ، ص80

2 .الايديولوجيات :

لقد مثلت الإيديولوجيا السمة الاساسية التي ارتكزت عليها الانظمة التوتاليتارية ، حيث عاصرت آرندث هذه الايديولوجيات المتكونة من النازية الألمانية والستالينية والفاشية ، عملت على ترويج أفكار جديدة عجز العقل الحدثي على استيعاب راهنها ، وذلك من خلال خلق إنسان جديد حامل لسمة رئيسية وهي الولاء والإخلاص للدولة والزعيم ، والانضباط التام والطاعة المطلقة والعمياء في الخضوع وتنفيذ الأوامر والتضحية غير المحدودة من أجل انتصار الأمة ، مما يؤكد بأن هذه الايديولوجيات التوتاليتارية، تجسد عصباً محركاً للنظام ، حيث تعمد الأنظمة التوتاليتارية إلى تفريغ العالم بإصرار وتهكم ، من الشيء الوحيد الذي قد يكون له معني بالنسبة لحس الرشاد وتقديراته النفعية ، فأنها تفرض عليه نوعاً من المعنى –الفائق الذي طالما وضعت الايديولوجيات نصب تطلعاتها، ومن خلاله تنشر أهدافها وغايتها المقنعة ، كما تتحكم في الأحداث المستقبلية ، حين لبثت تزعم اكتشافها مفتاح التاريخ أو حل لغز الكون ، تصير هذه الايديولوجيات مراكز للأنساق المنطقية حيث كل شيء يتلاحق تلاحقاً علياً ، وتلاحقاً إجبارياً ، من أجل طمس الواقع ، ونسج حقيقة وفق القوانين المفترضة للطبيعة والتاريخ ، والمهم في هذه الايديولوجيات أنه لن يكون هناك خاتمة للمسار التاريخي أو المسار الطبيعي ، فإذا كان قانون الطبيعة ، يوجب أن يقضى على كل ما يعتبر ليس جدير بالحياة ، فإنه من قبيل القضاء على الطبيعة نفسها ، ألا يوجد فئات جديدة ، غير جديرة بالحياة ، أي أن استمرارية قانون الطبيعة ، هو الذي يقضي بأن توجد فئات من الناس ، من أجل أن يقضى عليها[33].(آرندث، (2016) ، ص232) .

أن الايديولوجيا هو مجموعة الأفكار والمعتقدات التي تسود مجتمعا ما بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية القائمة وكشيء مقابل للعالم المحسوس ، وموضوعها هو التاريخ ،[34] (الكيالي ، (2008) ، ص421) الذي انطبقت " الفكرة " عليه تعالج ترابط الاحداث وكأنه يخضع لنفس" القانون" الذي يحكم " فكرتها ". وإذا كانت الايديولوجيات تزعم معرفة خفايا التقدم التاريخيّ برمتّه ، وأسرار الماضي ـ ومتاهات الحاضر ، وشكوك المستقبل ، وصيرورة الثقافات وتواريها وصعودها وانحدارها ، حتي وإن حاولت شرح التاريخ من خلال كل تجاربها جميعها ما برحت تتضمن عناصر توتاليتارية ، وأن الحركات دفعت بها إلى التنامي بصورة وحدها طابعاً توتاليتارياً ومن هذه الزاوية ، يتضح وجود ثلاثة عناصر توتاليتارية ، بصورة خاصة ، وهي تنمى إلى فكر إيديولوجي كامل . وهذا مما يخلق الانطباع الخادع بأن للعرفية الشيوعية تقوم على ثلاث ادعاءات اهمها .[35](آرندث، (2016) ، ص259- ص 264) .

أولاً: فيَّ ادعاء الايديولوجيات تفسير كل شيء فإنها تنحو إلي عدم إبراز ما هو قائم ، وما هو قيد الولادة والموت . إذ إنها تقصر اهتمامها ، في كل الحالات ، على عنصر الحركة ، وبمعنى أخر على التاريخ بمعناه المتداول .تيمّمُ الايديولوجيات شطر التاريخ دوماً ، حتى وإن بدت ، كما في الحالة العرقية ، تتصرف دون الأخذ بمسلمة ذات طابع طبيعي ، هاهنا لا تقوم الطبيعة سوى بتفسير المسائل التاريخية بأن تحيلها إلى مسائل طبيعية .فادعاء تفسير كل شيء إنما يعدُ بتفسير كل الأحداث التاريخية ، ويعد بتفسير الماضي تفسيراً كلياً ، وبمعرفة الحاضر معرفة كلية ، وبالتنبؤ للمستقبل على نحو معين .

ثانياً: إذ يدعي الفكر الايديولوجي بتفسير كل شيء ، فأنه يتجاوز كل اختبار ، إذ لا يكون في مقدوره إن يزوده بالجديد ، حتي لو كان تعلق بأمر حدث لتوه . وعلى هذا فأن الفكر الايديولوجي لا ينيّ يتحرر من الواقع الذي لا نزل نرَّتئيه عبر الحواس الخمس ، فيؤكد وجود واقع " أكثر حقيقة " ، كامن خلف الأمور المحسوسة ، فيحكمها من خلال الارتداد ، ويطالب بأن تمتلك الجماهير حساً سادساً . هذا الحس السادس من شأن الايديولوجيا أن توفرها لنا ، من خلال التلقين الايديولوجي الخاص الذي يُدأب عليه دوائر التعليم

([33])آرندث، (2016) ، ص237.
([34]) الكيالي ، (2008) ، ص421.
([35])آرندث، (2016م) ،ص237.

، بغية إعداد "المقاتلين السياسيين " في تنظيمات الدفاع الخاصة بالنازيين ،أو مدارس الكومينتلرن والكومينفورم

ثالثاً: ولما كانت الايديولوجيا عاجزة عن تحويل الواقع ، فقد استكملت عملية تحرر الفكر هذه حيال الاختبار عبر بعض مناهج البرهنة . ذلك إن التفكير الايديولوجي لا يني ينظم الوقائع وفق إجراء منطقي تماماً ، فينطلق من مسلمة باعتبارها فكرة أولية ويسوغ لنفسه أن يستنتج الباقي ؛ وبمعنى آخر يجري هذا التفكير في تماسك ما عاد قائماً أنى كان في مجال الواقع .على أن مسار الاستنتاج الآنف يمكن أن يكون منطقياً أو جدالياً ؛ وفي الحالين فإن مسار الاستنتاج الآنف ينطوي غلى مسار للمحاجة متماسك ، وعلى هذا يتسنى للذهن أن يتوصل إلى إدراك قوانين الحركات المنشأة " علمياً" التي يندمج فيها تدريجياً عبر مسار التقليد ، إما بصورة منطقية ، أو جدالياً . بيد أن المحاجة الايديولوجية التي تعتبر نوعاً من الاستنتاج المنطقي ، تستجيب للمكونين اثنين من مكونات الايديولوجيات ونعني بهما مكونة الحركة والتحرر حيال الواقع والاختبار ؛ أولاً ، لأن حركة الفكر خاصتها لا تتولد من الاختبار ، إنما تتولد من الواقع المختبر والمقبول منه إلي مسلمة ذات قيمة الفكرة الأولية ، ويروح عندئذ يسلك سبيل المحاجة اللاحقة التي لا يقوى أي اختبار على تعكيرها .

3.الحـــــركة:

لقد عمدت الحركات التوتاليتارية إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، الاستحواذ والسيطرة على جميع مظاهر الحياة بكل أساليبها ووسائلها ، و قمع الحريات الفردية واجبار الأفراد على الشتات والعزلة والتفتت والتعسفية [36] (الكيالي ، (2008) ، ص222) ، حيث بحثت آرندث عن المعطيات الوجدانية والايديولوجية التي عملت هذه الحركات على استثمارها في تهيئة الجماهير بواسطة الدعاية الايديولوجية ، حين تتولى حركة ما زمام السلطة في بلاد ما ،سواء أكانت هذه الحركة أممية في تنظيمها، أو عالمية في أهدافها الإيديولوجية ، تبين لها أنه لن يعترف للحركة ببلوغها غايتها ؛ ذلك لأن السلطة الحقيقية تنجزها حركة مستمرة ، هذه الحركة تكون على جميع الأصعدة ، تسعي للسيطرة الدائمة على كل دوائر الحياة ، وإدماج أكبر عدد من الأفراد في تنظيمها ، ووضعهم في حالة دائمة من الحركة والفكرة نفسها على صعيد الدولة ككل ، إذ تتحكم في سيرة الأحداث . حيث تقول آرندث في هذا السياق : « في نظام عالمي موحد وجدنا شعار تروتسكي " الثورة الدائمة " التجسيد الأكثر تلاؤما لهذين الزعمين ،رغم أن نظرية تروتسكي لم تعد كونها تنبؤا اشتراكياً بحصول سلسلة من الثورات تنتج التحولّ، في أفق مستقبلي بعيد من البرجوازية المعادية للإقطاع إلى البروليتارية المعادية للبرجوازية » [37](آرندث ،(2016) ، ص142). لمبدأ الحركة ، كما بدا في حملات التطهير الكبرى في روسيا و في ألمانيا النازية كان يسع المرء أن يتبين بوضوح نزعة مماثلة إلى الثورة الدائمة ، رغم أن النازيين لم يكن متاحاً أمامهم حملها إلى التحقق الفعلي بنفس الدرجة . وأنه لمن الدلالة بمكان أن تبدأ " الثورة الدائمة " بحسب قانون الانتخاب الطبيعي ، الذي كان يعني ، تصفية كل من لا تطبق عليهم المعايير التي تخضع هي كذلك ، لمعايير متجددة باستمرار . ومع كل هذا يتفق الزعيمان التوتاليتاريان(هتلر وستالين) وعودا بالاستقرار ، وذلك في سبيل أن يحجبا قصدهما في خلق حالة عدم الاستقرار الدائمة . [38](آرندث ،(2016) ، ص142) .

ترى آرندث أنه لم يكن هناك ثمة حل ، افضل من هذه الصيغة ، المجردة من محتواها الأصلي إزاء الصعوبات ، التي تلازم وجود حكم وحركة ، وإزاء ادعاء توتاليتاري وسلطة محدودة وأرضي محصورة ، وفي مواجهة انتماء ظاهري، إلى جوقة أمم حيث كل أمة تحترم سيادة الأخرى وتطلعها لحكم العالم ،

([36]) الكيالي ، (2008) ، ص222 .
([37])آرندث، (2016) ،ص237.
([38])آرندث، (2016) ،ص237.

ويخوض القائد التوتاليتاري مهمة مزدوجة فمن جهة يهب العالم الحركة واقعاً ملموساً ووظيفة مدركة للحياة اليومية ، ومن جهة أخرى ، ينبغي له السعي من وقاية انبثاق استقرار جديد في هذا العالم الجديد.

وإما عن المصدر الحقيقي للسلطة فهو في يد الحاكم ، الذي يجسد الحركة ، ويمدها بالفاعلية المحركة .تسمي آرندث ، نظام السيطرة في التوتاليتارية " ب"بنية البصلة " التي اتخذتها تراتبية الواجهة منفصلة تمام الانفصال عن كل المؤسسات الأخرى ومنقطعة عنها ، بحيث يحكم القائد التوتاليتاري ، من مؤسسة ، مكونة من عدة طبقات ، من مناضلي الحزب والمتعاطفين وأعضاء النخبة الاجتماعية ، يمثلون حلقات متظافرة من أجل تصفية الواقع أي سد الثغرة التي تبعد الخيال ، الايديولوجي للتوتاليتارية عن الواقع الخارجي ، وليس من أجل الحكم . [39](آرندث، (2016) ،ص193) .

الخاتمة :

أهم ما نخلص إليه في هذه الورقة البحثية إن حنة آرندث قدمت قراءة فلسفية سياسية نقدية للأنظمة التوتاليتارية ؛ وذلك من خلال قيامها بتفكيك بُنية النظام التوتاليتاري ومضامينه تحليلاً دقيقاً " اطلقت عليها مرحلة التفتيت "حيث توغلت في دروبه ،وخلصت إلى نتيجة مفادها :

1.أن مشكلة التوتاليتاريا هي مشكلة الإنسان المعاصر ومشكلة الحضارة ، فالتوتاليتاريا هي وليدة المجتمع الديمقراطي والديمقراطية بمفهومها الحديث وليدة حضارة الغرب منذ الإصلاحات الدينية ، وعليه فالتوتاليتاريا صنعت حياة مريرة لشعوبها وحتي الذي يرزح تحت لوائها من " الأحزاب السياسية ، أجهزة الأمن والمخابرات " ولا يمكن أن تكون طفرة في هذه المجتمعات ، فينبغي البحث في حضارة الغرب وإنسان الغرب هو الحل المقترح رغم أن هذا التحليل الآرندثي للأنظمة الشمولية يعبر عن حقيقة هذه الأنظمة وما تحمله من إيديولوجيات خفية ، وهي لا تريد أن تجد حلاً من خلال السياسة لأنها الميدان الوحيد الذي يحمل إمكانية بناء ما هدمه الإنسان إي إيجاد إنسان محمي من الطلاسم التوتاليتاريا وسمومها .

2. كان بزوغ الدولة التوتاليتارية بمثابة الصدمة وتجلٍ من تجليات الأزمة السياسية التي لم يسبق للعقل الغربي السياسي أن عرف هذا النوع الجديد والتغيير الجدري الراديكالي لأنظمة الحكم ، معبرة عن نفسها بأساليب لم يسبق التطرق لها في أنظمة الحكم التقنية .

3. التوتاليتاريا من وجهة نظر المفكرة الالمانية مؤسسة سياسية جديدة كليا قامت بتدمير كل التقاليد الاجتماعية القانونية والسياسية للدول التي تحكمها ، والنظام التوتاليتاري يُحول دائماً جميع الطبقات إلى جماهير ، فيبدل النظام بأحزاب وليس بدكتاتوريات ذات حزب واحد ، ولكن بحزب للجماهير ينقل مراكز السلطة الجيش والأمن ، ويضع في التنفيذ سياسة خارجية تريد الهيمنة على العالم . .

4. حاولت آرندث التعبير عن همها وقلقها الفكري السياسي تجاه ما أدى إلى تخريب الجسم السياسي الغربي على اعتبار أن التوتاليتاريا كأسلوب جديد للهيمنة والتسلط والتعبير عن نفسه كنظام سياسي أحادي متحكم في جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية من خلال القسوة الفكرية على إنسانية الإنسان الذي كان بمثابة الدافع في انبثاق تفكير نقدي جديد يبحث في ماهية الإنسان والسياسة . .

5. دعت آرندث إلى نشر المساواة السياسية بدعم الأنظمة الديمقراطية ونبذ الديكتاتوريات والأنظمة الشمولية الظالمة ، وبذلك تكون السياسة عند آرندث تحايث نظام الدولة أو نظام المدينة اليونانية المؤسسة من طرف أفلاطون ، فالحياة السياسية تتماهى في الحياة العملية .فتنصهر كما قرأها أرسطو وكررنها آرندث بشيء من التعبير الطفيف . .

6. تعد كتابات آرندث مبادرة راشدة تُعيد النظر في قضايا عصرية عديدة متزامنة مع ظرفية صعود السلطات التوتاليتاريا وجرائمها اللامعدودة إزاء البشرية ، فهي قدمت مفاهيم وصفية فينومينولوجية بعيد عن التأسيس الميتافيزيقي للتصورات ، فهي تدافع عن واقعية النشاط الدؤوب للمواطنين وما مدى

---

[39]آرندث ، (2016م) ، ص237.

اندماجهم مع مؤسساتهم السياسية ، لذا ترى آرندث أن غاية السياسة هي الحرية ، المشاركة ،و القدرة على الكلام و الحوار

7. رصدت آرندث الهوة الزمنية التي كانت تفصل بين العقل الغربي ، وعن ماضيه وتراثه الفلسفي والسياسي، وعبرت في هذا المقام عن رفضها القراءة الانطولوجية للتاريخ ، وكذا عن رغبتها في إعادة فهم التاريخ إلي مجراه الطبيعي ؛ مجرى الفعل والنشاط الإنسانيين . ولعل وعيها يمثل هذه القطيعة هو ما مكنها من رؤية تاريخ الفكر الغربي من خلال تباعده المستمر عن واقعه الجديد ، مما يجعل أزمة الإنسان الحديث أزمة تجد جذورها في هذه العلاقة المتوترة ، أزمة توجت بتصاعد المد التوتاليتاري كواقع لم يدركه الإنسان الحديث ولم يستطيع فك شفرته

أهم المصادر والمراجع :

1. روزنتال، وآخرون .(1987) .*الموسوعة الفلسفية* .بيروت، لبنان: دار الطليعة.
2. زيادة، معن .(1988) .*الموسوعة الفلسفية العربية* (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: معهد الإنماء العربي.
3. الكيالي، عبد الوهاب .(2006) .*الموسوعة السياسية* (الطبعة الخامسة). بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
4. مجموعة من الأكاديميين العرب. (1434/2013هـ) .*موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة: الفلسفة الغربية* (الطبعة الأولى). الرباط، المغرب: دار رامان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر.
5. آرندت، حنّة .(1993) .*أسس التوتاليتارية* (ترجمة أنطوان أبو زيد، الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار الساقي.
6. آرندت، حنّة .(2022) .*التفكير الحر* (ترجمة مالك سلمان، الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار السافي.
7. آرندت، حنّة .(2022) .*الإمبريالية ومعالم الإبادة والعنصرية والشمولية* (ترجمة مالك سلمان، الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار السافي.
8. آرندت، حنّة .(2014) .*إيخمان في القدس: تقرير حول تفاهة الشر* (ترجمة نادرة السنوسي، الطبعة الأولى). لبنان: دار ابن النديم.
9. آرندت، حنّة. (أكتوبر، 2014) .*بين الماضي والحاضر* (ترجمة عبد الرحمن بوشناق، الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار جداول.
10. آرندت، حنّة. (1435/2014هـ) .*ما السياسة؟* (ترجمة زهير الخويلدي وسلمى بالحاج مبروك، الطبعة الأولى). الرباط، الجزائر: منشورات خُفاف.
11. آرندت، حنّة. (يونيو، 2015) .*الوضع البشري* (ترجمة هادية العرقي، الطبعة الأولى). الرباط، المغرب.
12. آرندت، حنّة .(2020) .*في معاداة السامية* (ترجمة نادرة السنوسي، الطبعة الأولى). الجزائر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع.
13. لوبون، غوستاف .(2016) .*سيكولوجيا الجماهير* (ترجمة أنطوان أبو زيد، الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: دار الساقي.
14. لينين، فلاديمير .(1976) .*الإمبريالية: أعلى مراحل الرأسمالية* .موسكو: دار التقدم.
15. المحمودي، علي .(2003) .*الفعل السياسي بوصفه ثورة: دراسات في جدل السلطة والعنف عند حنّة آرندت* (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار الفارابي.
16. أبو شهيوة، مالك، وآخرون. (1425/2005هـ) .*الأيديولوجيا والسياسة* (الطبعة الأولى). طرابلس، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
17. نصار، بيير .(1992) .*العلوم الاجتماعية المعاصرة* (تحقيق نخلة فريفر، الطبعة الأولى). الكويت: المركز الثقافي العربي.
18. عبد الكريم، أحمد .(1971) .*أسس النظم السياسية* .القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، مطبعة جامعة القاهرة.
19. Gardner, C. V. (2009). *The A to Z of feminist philosophy.* United States of America: The Franklin Library, p. 18.
20. Clet Martin, J. (1997). *100 mots pour les philosophes: À droite Jacques Derrida.* p. 37–40.
21. Plato. (1938). *Selected dialogues.* United States of America: The Franklin Library.